

الدرس التاسع عشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المتزهد..

[ما يقال عند سماع الأذان]

[روى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من قال حين
يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله
رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً غفر الله له ذنبه " انفراد به مسلم]

الشرح..

قال المصنف رحمه الله ما يقال عند سماع الأذان ، الأذان ؛ كلمات مباركات يؤتى بها
عند دخول وقت الصلاة إيذان بدخوله وإعلاماً بدخوله وهي كلمات عظيمة قائمة
على التوحيد والتعظيم لله سبحانه وتعالى والترغيب في الصلاة والحث عليها والنداء لها
وبيان ما فيها من فلاح وخير فهي كلمات عظيمة إذا أحسن المسلم الاستماع إليها
وقال مثل ما يقول المؤذن مردداً معه وأتى بالأذكار الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم فتحت
له أبواب الخيرات وفتحت له أبواب الجنة وكانت سبباً عظيماً لطمأنينته في صلاته
وخشوعه فيها وإقباله عليها بقلبه ، وكثير من الناس يفرطون في هذا الأمر فيؤذن

المؤذن ولا يُلقون بالألّ لسّماع الأذان والترديد مع المؤذن بل يبقون في أحاديثهم وأعمالهم ومصالحهم وهذا مما يضعف همة المرء وإقباله على صلّاته ، وقد جاء في حديث عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر فقال أحدكم الله أكبر الله أكبر ، فقال أشهد أن لا إله إلا الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله ، وقال أشهد أن محمداً رسول الله فقال أشهد أن محمداً رسول الله ، فقال حي على الصلّاة فقال لا حول ولا قوّة إلا بالله ، فقال حي على الفلاح قال لا حول ولا قوّة إلا بالله ، فقال الله أكبر الله أكبر قال الله أكبر الله أكبر ، قال لا إله إلا الله فقال لا إله إلا الله متابعاً للمؤذن من قلبه إلا دخل الجنة " ، وهو حديث صحيح فكيف يفوت المسلم على نفسه هذا الخير العظيم والفضل المبارك ، ولهذا ينبغي للمسلم عند سماع المؤذن أن يتوقف عن حديثه حتى وإن كان يتلو القرآن الكريم فإنه يتوقف عن التلاوة ويردد مع المؤذن فإن أفضل عمل في كل وقت الأوفق للسنة في ذلك الوقت وهذه قاعدة مهمة في باب العبادات ، قراءة القرآن الكريم من أجل الأذكار وأعظمها شأناً وأرفعها مكانة ، لكن إذا أذّن المؤذن فإنه أفضل من التلاوة أن تستمع للمؤذن وأن تقول مثل ما يقول كما جاءت بذلك السنة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف إذا بالأحاديث الخاصة ؛ كثير من الناس يؤذّن المؤذن وهم مستمرون في أحاديثهم الخاصة وشؤونهم وأمورهم ولا يباليون بسماع المؤذن فيقولون مثلما يقول فيفوتون على أنفسهم خيراً عظيماً ، والسنة جاءت بجملة من الأذكار تتعلق بالأذان عند سماعه ، سواء أثنائه أو بعد الفراغ من سماعه وانتهاء الأذان ، جاءت السنة أن يقول بعد انتهاء الأذان ، أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول " اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلّاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته " و أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من

يقول ذلك بعد سماع الأذان حلت له الشفاعة شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومما يُشرع للمسلم أن يقوله عند سماع الأذان ؛ ما جاء في هذا الحديث الذي ساقه المصنف حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - أحد العشرة المبشرين بالجنة - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً غفر الله له ذنبه " وجاء في رواية لهذا الحديث أخرى في صحيح مسلم قال " وأنا أشهد " ؛ وموضع هذه الكلمات بعد قول المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله وقبل قوله حي على الصلاة ؛ هذا موطنها ، قد جاء ذلك مصرحاً به في رواية للحديث في مستخرج أبي عوانة أنه إذا قال " أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله قال وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله رضيت بالله رباً .. إلى آخره " فهذا هو موضع هذا الذكر والكلمات المباركات إذا قال المؤذن أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمداً رسول الله أشهد أن محمداً رسول الله وقبل أن يقول حي على الصلاة ؛ تقول وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ، ومن قال ذلك غفر الله له ذنبه - انظر لهذا الثواب العظيم -

وقوله " **أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له** " هذه كلمة التوحيد متبعة بتأكيد لها وتحقيق لمعناها وهو قوله " وحده لا شريك له " ، لأن قوله " لا إله إلا الله " هذه كلمة التوحيد ، و " لا إله " نفي للعبودية عن كل ما سوى الله ، " إلا الله " إثبات العبودية بكل معانيها لله وحده وهي تعني إخلاص العبادة لله وإفراده جل وعلا وحده بها ، فقائل لا إله إلا الله لا يعبد إلا الله ولا يسأل إلا الله ولا يستغيث إلا

بالله ولا يتوكل إلا على الله ولا يصرف شيئاً من العبادة إلا لله ، ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ لا شريك له ﴿ ولا يكون المرء من أهل لا إله إلا الله بمجرد النطق بلفظها وكلمتها بل لابد من فهم ما دلت عليه من التوحيد وتحقيق ذلك حتى يكون المرء من أهلها ، كما قال تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي يعلمون معنى ما شهدوا به كما قال الله ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾

وقوله " وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ " هذا فيه الشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالعبودية والرسالة ، فهو عبد عليه الصلاة والسلام والعبد لا يُعبد ، الذي يعبد الرب سبحانه وتعالى ، العبد لا يعبد ولا يستحق شيئاً من العبادة ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ وهو نبي عليه الصلاة والسلام والنبي لا يُكذَّب بل يطاع ويُتَّبَع ، فقول المسلم " أشهد أن محمداً عبده ورسوله " يحقق له الوسطية والاعتدال والبعد عن الغلو والجفاء ، فإن الشهادة له بالعبودية سلامة للعبد من الغلو ، والشهادة له بالرسالة فيها سلامة للعبد من الجفاء ، والحق وسط بين الغلو والجفاء والإفراط والتفريط ، بل هو عليه الصلاة والسلام عبدٌ لا يعبد ورسول والرسول لا يُكذَّب بل يطاع ويُتَّبَع

وقوله " رضيت بالله رباً وبمحمد رسولاً وبالإسلام ديناً " هذه الكلمات الثلاث هي أصول الدين الإسلامي التي لا يقوم الدين إلا عليها ، فالإسلام يقوم على هذه الأصول الثلاثة ؛ الرضا بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وبالإسلام ديناً ، وعن هذه الأصول الثلاثة يُسأل من أُدرج في القبر ، كل من مات وأُدرج في قبره أتاه ملكان كما جاءت بذلك السنة عن نبينا صلى الله عليه وسلم " فيجلسانه ويقولان من ربك وما دينك

ومن نبيك " ثلاثة أسئلة توجّه إليه عن هذه الأصول الثلاثة ، ولهذا حريّ بالمسلم أن يكرر هذه الأصول في أيامه ولياليه ، وهذه الأذكار المشروعة تعينك على هذا التكرار لأصول الدين و استحضارها حتى تتحقق بقلبك وتتمكن من نفسك وتقوى في قلبك ، رضيت بالله رباً وبمحمد رسولا وبالإسلام ديناً

أما الرضا بالله رباً ؛ يتناول الرضا به معبوداً بحق ولا معبود بحق سواه ، تُصرف العبادة له وحده ويُلتجأ إليه وحده ويُقر بعظمته وجلاله وكمال صفاته سبحانه وتعالى ، وأنه الخالق العظيم الرب الجليل الملك المدبر لا شريك له في شيء من ذلك ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون ﴾ فالرضا به رباً يتناول ذلك كله وأن يفرد سبحانه وتعالى بالعبادة فلا يُعبد إلا الله ولا يصرف شبيهُ من العبادة إلا له جلّ في علاه

والرضا بمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا ؛ رضا به وبرسالته وأنه مرسل من رب العالمين ومُبلّغ عن الله ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغ ﴾ و ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾ * إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى ﴿ ، والرضا به رسولاً ؛ يعني طاعته فيما أُرسِل به واتباعه فيما دعا إليه ولزوم نهجه وترسّم خطاه قال الله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ هذا مقتضى الإيمان به رسولاً ، والرضا به رسولاً أن تأخذ ما جاء به وأن تنتهي عما نهي عنه وأن تأتسي به ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

وأما الرضا بالإسلام ديناً ؛ فهو رضا بدين الله الذي رضيه لعباده ولا يرضى لهم ديناً سواه ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ، ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ

﴿ فيرضى العبد لنفسه دين الله الذي رضيه لعباده ولا يرضى لهم ديناً سواه ،
ويقتضي هذا الرضا بالدين أن يُقبل المرء على دين الله تعلماً له ومعرفة بما فيه من
حكم وأحكام وعقائد وشرائع ، وأن يدين الله بذلك كله مؤمناً متعبداً خاضعاً
متذللاً لله رب العالمين ، الحاصل إن هذه كلمات عظيمة جدير بالمسلم أن يُعنى
بها ، ومن فائدة هذه الكلمات العظيمة أن بتكررها على لسان المرء وقلبه مرات
وكرّات في يومه وليلته كما ورد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم من شأن ذلك أنه يقوي
التوحيد في قلبه ويعمق الإيمان وحسن الإقبال على الله والرضا به وبنبيه صلى الله عليه وسلم
وبدينه جل في علاه .

[ما يقال بعد التسليم من الصلاة]

[روى ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً وقال
: " اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام "]

قال الوليد فقلت للأوزاعي كيف الاستغفار قال : تقول أستغفر الله " انفراد به مسلم]

الشرح..

ثم قال رحمه الله " ما يقال بعد التسليم من الصلاة " عند الفراغ منها و إتمامها وختمها
بالسلام ، فإنه على إثر ذلك يشرع للمسلم جملة من الأذكار العظيمة جاءت بها
السنة النبوية عن نبينا صلى الله عليه وسلم وينبغي للمسلم أن يحرص على الوارد والمأثور ؛ فإن
فيه الخير والبركة وفيه السلامة والعصمة وفيه الكمال والتمام ، كل ذلك لا تجده في
غير المأثور عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، لأن الأذكار والدعوات التي تُنقل عن غيره قد لا

تكون سالمة لأنها ليست معصومة وإنما العصمة في الدعوات والأذكار المأثورة عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، قد يكون فيها بعض النقص والخلل وقد يكون فيها شيء من المخالفة والتعدي والتجاوز وإن سلمت من ذلك فهي أقل شأنًا من المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن من أشد الناس عيباً من يهجر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وينشغل بأذكار ودعوات أحدثها بعض الناس وكتبها بعض المتكلمين ، وهذه مصيبة أن ترى مع بعض الناس كتباً جمعت فيها أذكار مخترعة ودعوات متكلفّة أنشأها بعض الناس ويستغرقون في قراءة تلك الدعوات الأوقات الطويلة ، ناهيك عما في بعضها من بدع وخرافات وشركيات وضلالات ، يقرؤونها باستدامة قراءةً يومية هاجرين المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم والثابت عنه وهذه من المصائب العظيمة والبلايا الكبيرة ومن الورطات التي تورّط فيها كثير من العوام بسبب دعاة الضلالة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : " إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين " ، بعض العوام في يديه كتاب يقرؤه كل يوم وفيه شركيات وفيه بدع وفيه خرافات ، كل يوم يقرؤه ورّطه فيه أحد دعاة الضلالة ، لم يُعلمه الدعوات والأذكار المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ولهذا كثير من العوام يعيشون ورطات عظيمة في هذا الباب ؛ أذكار مخترعة ما أنزل الله بها من سلطان ، حتى إن في بعضها الشرك بالله والاستغاثة بغير الله والالتجاء إلى غير الله ، ونسأل الله العفو والمعافة الدائمة في الدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين

أورد رحمه الله حديث ثوبان رضي الله عنه قال " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثاً " ، وجاء في تمامه " قال الوليد قلت للأوزاعي كيف الاستغفار " يعني كيف هذا الاستغفار ثلاثاً " قال تقول استغفر الله ثلاثاً " يعني تقول استغفر الله ثلاث مرات ، فمن السنة أن يقول المسلم بعد سلامه من صلاته استغفر الله .. استغفر الله .. استغفر

الله ، والاتيان بهذا الاستغفار ثلاث مرات بعد السلام في غاية المناسبة وتمام الموافقة لأنك مهما اجتهدت في صلاتك على أن تكملها وتتممها وأن تخشع في صلاتك وأن تأتي بها وافية تامة ؛ مهما اجتهدت لا بد أن يقع منك قصور وخلل ونقص ، فأنت في صلاتك يُشرع لك أن تجاهد نفسك على تكميل هذه الصلاة ثم إذا سلّمت تحس من نفسك القصور في الصلاة فتستغفر ربك ثلاثا ، ولذا يُرجى أن يكون استغفارك بعد صلاتك جابراً للنقص الذي يكون منك في صلاتك ، استغفر الله استغفر الله استغفر الله

" اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام "

" اللهم أنت السلام " .. هذا اسم من أسماء الله الحسنى ، تذكره متوسلاً إلى الله به في مناجاتك واستغفارك ، هو اسم من أسمائه تبارك وتعالى ووارد في القرآن ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ ﴾ ومعنى السلام : أي المنزه ؛ فهو من أسماء التنزيه والتقديس لله مثل السُّبُوحِ وَالْقُدُّوسِ ، هذه كلها من أسماء التنزيه ، تنزيه الله عن النقائص والعيوب وعن كل ما لا يليق به وتنزيه الله عن مماثلة المخلوقات ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ ، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ فالسلام اسم من أسماء التنزيه ، قوله **" ومنك السلام "** .. أي كل سلامة تكون من المهالك فهي منك وحدك ، وهذا أسلوب حاصر **" منك السلام "** ، أي وحدك ، فلا سلامة للعباد من الشرور والمهالك إلا منك ، بفضل منك ومنّ فالله هو السلام ومنه وحده السلام

قال " تباركت يا ذا الجلال والإكرام " .. " تباركت " أي تعاليت ، " ذا الجلال والإكرام " أي المتصف بذلك ،

وهما وصفان عظيمان لله دالان على عظيم صفاته جل وعلا ، عظمة صفاته وكماله ، وكثرة نعمه وعطاياه ، فالجلال يدل على عظمة الصفات والاكرام يدل على عظمة المنن وكثرة العطايا والجود والفضل فالعبد يقول ذلك ذاكراً عظمة ربه وعظيم فضله ومنه جل وعلا .

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه ..